

تفسير البحر المحيط

@ 424 @ نوراَ يوم القيامة ، فيلبسه وجه الأرض ، فتشرق الأرض به ، وقال ابن عباس :
النور هنا ليس من نور الشمس والقمر ، بل هو نور يخلقه الله فيضيه الأرض . وروي أن الأرض
يومئذ من فضة ، والمعنى : أشرقت بنور خلقه الله تعالى ، أضافه إليه إضافة الملك إلى
الملك . وقال الزمخشري : استعار الله النور للحق ، والقرآن والبرهان في مواضع من التنزيل
، وهذا من ذلك . والمعنى : وأشرقت الأرض بما يقيمه فيها من الحق والعدل ، وبسط من القسط
في الحسنات ، ووزن الحسنات والسيئات ، وينادي عليه بأنه مستعار إضافته إلى اسمه ، لأنه
هو الحق العدل ، وإضافة اسمه إلى الأرض ، لأنه يزينها حين ينشر فيها عدله ، وينصب فيها
موازين قسطه ، ويحكم بالحق بين أهلها ، ولا ترى أزين للبقياع من العدل ولا أعمر لها منه ،
ويقولون للملك العادل : أشرقت الآفاق بعدلك وأضاءت الدنيا بقسطك ، كما يقولون : أظلمت
البلاد بجور فلان . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (: الظلم ظلمات يوم القيامة) ،
وكما فتح الآية بإثبات العدل ، ختمها بنفي الظلم . .

{ وَوَضِعَ الْكِتَابُ } : أي صحائف الأعمال ووجد ، لأنه اسم جنس ، وكل أحد له كتاب على
حدة ، وأبعد من قال : الكتاب هنا اللوح المحفوظ . وروي ذلك عن ابن عباس ، ولعله لا يصح
، وقد ضعف بأن الآية سقت مقام التهديد في سياق الخير . { وَجِئَ بِالنَّبِيِّينَ }
ليشهدوا على أممهم ، { وَالشُّهَدَاءَ } ، قيل : جمع شاهد ، وهم الذين يشهدون على الناس
بأعمالهم . وقيل : هم الرسل من الأنبياء . وقيل : أمة محمد صلى الله عليه وسلم) ، يشهدون
لرسل . وقال عطاء ، ومقاتل ، وابن زيد : الحفظة . وقال ابن زيد أيضاً : النبيون ،
والملائكة ، وأمة محمد عليه السلام ، والجوارح . وقال قتادة : الشهداء جمع شهيد ، وليس
فيه توعده ، وهو مقصود الآية . { وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ } : أي بين العالم ، ولذلك قسموا
بعد إلى قسمين : أهل النار وأهل الجنة ، { بِأَلْحَقَّ } : أي بالعدل . { وَوُفِّيَتْ }
كُلُّ نَفْسٍ } : أي جوزيت مكملًا . { وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ } ، فلا يحتاج
إلى كاتب ولا شاهد ، وفي ذلك وعيد وزيادة تهديد . .

{ وَسَيُقَاسُ السَّاعِينَ كَفَرُوا } إِلَى جَهَنَّمَ زُمْرًا حَتَّى إِذَا جَاءَهُمْ
فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ
يَتْلُونَ . .

ولما ذكر أشياء من أحوال يوم القيامة على سبيل الإجمال ، بين بعد كيفية أحوال الفريقين
وما أفصى إليه كل واحد منهما فقال : { وَسَيُقَاسُ } ، والسوق يقتضي الحث على المسير بعنف

، وهو الغالب فيه . وجواب إذا : { فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا } ، ودل ذلك على أنه لا يفتح إلا إذا جاءت ؛ كسائر أبواب السجون ، فإنها لا تزال مغلقة حتى يأتي أصحاب الجرائم الذين يسجنون فيها فيفتح ثم يغلق عليهم . وتقدم ذكر قراءة التخفيف والتشديد في فتحت وأبوابها سبعة ، كما ذكر في سورة الحجر . { وَقَالَ لَهُمْ خُزِّنْتُمْ هَآ } ، على سبيل التقرير والتوبيخ ، { أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ } : أي من جنسكم ، تفهمون ما ينبئونكم به ، وسهل عليكم مراجعتهم . وقرأ ابن هرمز : تأتكم بناء التأنيث ؛ والجمهور : بالياء . { يَتَذَلُّونَ عَلَيْهِكُمْ ءَايَاتِ رَبِّكُمْ } : أي الكتب المنزلة للتبشير والنذارة ، { وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءِ يَوْمِكُمْ هَآذَا } : وهو يوم القيامة ، وما يلقي فيه المسمى من العذاب ، { قَالُوا بَلَىٰ } أي قد جاءتنا ، وتلوا وأنذروا ، وهذا اعتراف بقيام الحجة عليهم ، { وَلَآ كُنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ } أي قوله تعالى : { لَآ مَلَانَّ جَهَنَّمَ } . { عَلَيْهِ الْكَافِرِينَ } : وضع الظاهر موضع المضمَر ، أي علينا ، صرحوا بالوصف الموجب لهم العقاب . .
ولما فرغت محاورتهم مع